وهكذا يحاربون الغشّ بالغشّ، والحسد بالحسد، والبغض بالبغض، والاستبداد بالاستبداد. إنهم يحالفون الدياجير على النور ثمّ يعجبون للنور كيف لا ينبجس من قلوبهم وأفكارهم وكيف لا يبدّل شقاءهم هناءً، وليلهم نهاراً، وموتهم حياة. وإنّهم يحالفون الغرائز الحيوانيّة على الفكر والخيال والوجدان ثمّ يعجبون كيف تتغلّب البهيمة فيهم على الإنسان.

ها هو العالم ـ عالمنا ـ تغلي مرائره اليوم غلياناً ينذر بانفجار هائل، جارف. وإن سأل سائل عن أسباب ذلك الغليان قيل له: إنّه غليان مراجل الحرية ضدّ طغيان الاستبداد، والنّظام ضد الفوضى، والسّلم ضد الحرب، والنور ضدّ الديجور. يقولون ذلك دون أن يرفّ لهم جفن، أو تحمرّ لهم وجنة، أو يندى لهم جبين.

يا ويلهم من الحرية والنظام والسلم والنور يزيّفون معادنها الصافية، ويزوّرون معانيها البديعة، ويموّهون جمالها وجلالها ثمّ يسدلونها سُجُفاً كثيفة على أبصار البسطاء والمغفلين فيتقبّلها هؤلاء بالشكر والرضى، ويمشون جحافل جرّارة إلى ميادين القتال جاهلين أنّهم يمشون إلى قتال الفكر والخيال والوجدان، وإلى نصرة الاستبداد والفوضى والحرب والظلام